المقدمة

أحدث انهيار الاتحاد السوفيتى، ومن ثم انتهاء الحرب الباردة فى أوائل التسعينات، نقلة جذرية فى العلاقات الدولية والنظام الدولى والقوى التى تتحكم فيه، نقلته من نظام القطبية الثنائية حيث كانت قوتان عظميان super powers تتنافسان فيه على المكانة الدولية، وتسلل هذا التنافس الذى أخذ أشكالاً أيديولوچية وسياسية وسباق تسلح إلى كافة مناطق العالم من آسيا إلى الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية وإفريقيا.

وكانت نهاية هذه الحرب الباردة وغياب القوة المنافسة إيذاناً ببروز الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القطب الأوحد على الساحة الدولية، ورغم أن قضية التسعينات قد شهدت جدلاً واسعًا حول طبيعة النظام الدولى الجديد، وحول القوة أو القوى التى ستتحكم فيه، فإن هذه الحقبة قد انتهت وقد تأكد أن الولايات المتحدة هى القوة التى تمتلك مقومات القوة العسكرية والاقتصادية والتكنولوچية بشكل يتفوق على القوى الدولية الأخرى مجتمعة، وكان هذا هو الوضع الذى أفرز نظريات ومفاهيم تعتبر أن هذه اللحظة unipolar moment تؤهل الولايات المتحدة وتعطيها الحق فى أن تقود العالم وترسم سياساته وتقرر قضايا الحرب والسلام. وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة قد شهدت منذ نهاية الحرب الباردة ثلاثة رؤساء: چورچ بوش الأب، وبيل كلينتون ، وچورچ بوش الابن، ورغم الاختلافات الجزئية فى تعاملهم مع وضع أمريكا الجديد، إلا أنهم جميعًا كانوا متفقين على حماية الوضع الأمريكى الاستثنائى، ومنع أية قوة من أن تتحداه، إلا أن هذا الاتجاه قد بلغ قمته فى عهد چورچ بوش الابن، الذى تبنى بوضوح، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، مفاهيم الاستخدام المفرط للقوة العسكرية وقدمها على الأساليب والوسائل الدبلوماسية، وصاغ إستراتيچيات تدور حول الضربات الاستباقية preemptive strikes، والعمل المنفرد unilateralism

وتجاهل الآخرين بما فيهم الحلفاء، والاستهانة بالمنظمات الدولية، وتجاهل الاتفاقيات الدولية، وقد تجسدت هذه المفاهيم والإستراتيجيات فى حربين ضد أفغانستان والعراق، وقد ساد هذا النهج ولاية بوش الأولى وحيث كانت مجموعة المحافظين الجدد تسيطر على المراكز ودوائر صنع القرار فى البيت الأبيض، والبنتاجون بل وفى بعض إدارات وزارة الخارجية. غير أن أكبر تحدٍ واجه هذا النهج كان الحرب على العراق وثبوت عدم صحة الافتراضات التى قامت عليها وروج لها المحافظون الجدد، وانتهى الأمر بأن وصفت هذه الحرب «بالكارثية» وأصبح الطلب الأمريكى هو البحث عن إستراتيجية للخروج من هذا المأزق الذى لم يتحقق فيه أهداف الحرب وقد جاءت نتائج انتخابات الكونجرس الأمريكى فى نوفمبر ٢٠٠٦ لكى تؤكد اقتناع الشعب الأمريكى بفشل الإدارة فى التخطيط وإدارة هذه الحرب.

غير أن أهم ما أكدته خبرة الحرب فى العراق هو الجدل الذى أثاره عدد من الخبراء الإستراتيجيين الأمريكيين حول مفهوم الاعتماد على القوة العسكرية وكذلك مفهوم العمل المنفرد، حيث جادل هؤلاء الخبراء لإثبات أن القوة العسكرية، مهما تفوقت لها حدودها وشروطها، وأن السياسة الخارجية الأمريكية يخدمها بشكل أكثر العمل والتعاون مع القوى الرئيسة الأخرى والمؤسسات والمنظمات الدولية.

أما المسرح الدولى الأوسع الذى بدأت السياسة الأمريكية تواجهه فقد تمثل فى الحركة الدولية الحثيثة وخاصة من قوى دولية رئيسة، نحو عدم الرضا بمفهوم القطب الواحد والتفرد الأمريكى، حيث بدأت هذه القوى تعمل وتروج لمفهوم العالم المتعدد الأقطاب multipolar والمشاركة فى القرارات الدولية الكبرى وكان فى طليعة هذه القوى قوى حليفة للولايات المتحدة نفسها مثل فرنسا، وقوى صاعدة مثل الصين، وروسيا، والهند. وقد دعم من هذا التوجه النمو الاقتصادى غير المسبوق لقوى مثل الصين والعمل الدءوب لروسيا فى ظل إدارة بوتين على استثمار قدراتها وتأكيد دورها فى القضايا الدولية ومناوءة الولايات المتحدة فى

عدد من القضايا الإقليمية بشكل جعل البعض يتصور عودة لأجواء وعلاقات الحرب الباردة، هذه الحركة الدولية وما تنبئ به من تحول فى علاقات القوى هى التى شجعت دولاً من العالم الثالث على إعادة حساباتها وتوجهها نحو هذه القوى الجديدة فى مساهمة لإعادة التوازن فى العلاقات الدولية الذى اختل على مدى الحقبتين الماضيتين.

***

كان ما تقدم هو الإطار العام الذى دارت حوله وناقشته مقالات هذا الكتاب(*) وهى تقدم صورة للعلاقات الدولية والإقليمية وقضاياها كما تطورت خلال الأعوام القليلة الماضية.

أما مضمون الكتاب فإنه يتكون من أربعة أقسام، يعالج القسم الأول قضايا شرق أوسطية فيقدم رؤية خبير إستراتيجى أمريكى، هو ريتشارد هاس الرئيس الحالى لمجلس العلاقات الخارجية الأمريكى، لمستقبل الشرق الأوسط خلال الحقبة أو الحقب القادمة ويحدد ملامح ما يسميه «الشرق الأوسط الجديد» والأخطاء التى يمكن أن ترتكبها السياسة الخارجية الأمريكية فى المنطقة، والفرص التى أمامها.

كذلك يعالج هذا القسم عدداً من القضايا مثل موضع الشرق الأوسط فى الإستراتيجية الأمريكية، والدعوة الأمريكية إلى الديمقراطية وتأثيرها على العلاقات الأمريكية العربية، ويناقش المسألة النووية فى الشرق الأوسط فى ضوء الخبرة الدولية فى قضايا التسلح النووى، ويتساءل عن إمكانية استخدام الدعم الأمريكى لإسرائيل فى ضوء ما أثاره أستاذان أمريكيان حول تأثير اللوبى اليهودى على السياسة الخارجية الأمريكية فى الشرق الأوسط.

ومع توافق مرور خمسين عامًا على حرب السويس يناقش هذا القسم المقدمات الإقليمية والدولية التى مهدت لهذه الحرب وقادت إليها.

***

(*) نشرت معظم مقالات هذا الكتاب فى عدد من الصحف والدوريات المصرية والعربية.

ويخصص الكتاب قسمه الثانى للقضايا الأمريكية، فيناقش الوضع الدولى للولايات المتحدة فى ضوء المشهد الدولى القادم وصعود القوى الثلاث: الصين، وروسيا، والهند، وتأثير ذلك على مكانة أمريكا الحالية باعتبارها القطب الأوحد فى النظام الدولى، ويعرض لرأى خبراء أمريكيين بما تحتاجه السياسة الخارجية الأمريكية لكى تكون أكثر فعالية وأكثر نجاحاً.

ومع مرور خمس سنوات على أحداث ١١ سبتمبر يناقش القسم تأثيرات هذا الحدث على السياسة الخارجية الأمريكية وبشكل خاص على العالمين العربى والإسلامى، ويعرض الكتاب لعناصر إستراتيجية للأمن القومى الأمريكى التى صدرت عام ٢٠٠٦ ويقارنها بالإستراتيجية التى تبنتها الإدارة عام ٢٠٠٢ وما تضمنته من مفاهيم.

كذلك يناقش الكتاب علاقات الولايات المتحدة مع كل من الصين وروسيا والنقاش الأمريكى الدائر حول النظر إلى هاتين القوتين وكيفية إدارة العلاقات معهما.

***

ويناقش القسم الثالث عدداً من القضايا الدولية فيتعرض لمنظمة الأمم المتحدة ويقدم رؤية خبير إستراتيجى هو بول كينيدى لماضى وحاضر ومستقبل المنظمة الدولية والنقاش الدائر حول إصلاحها وخاصة جهازها الرئيس وهو مجلس الأمن، كما يناقش هذا القسم القضايا الدولية التى أفرزها الإرهاب، مثل العلاقة بين الإسلام والغرب والانتشار النووى وتأثير مكافحة الإرهاب على الديمقراطية وحقوق الإنسان، وأوضاع الجاليات المسلمة فى المجتمعات الأمريكية والغربية، كما يتعرض للنقاش الدائر بين الإسلام والغرب، ويبرز أصواتاً عاقلة صدرت فى الغرب من أجل مزيد من التفاهم بين الثقافتين.

***

أما القسم الرابع فهو يتناول قضايا مصرية تتصل بإدارة السياسة الخارجية المصرية وتتضمن الدعوة إلى إنشاء مجلس للأمن القومى يناقش قضايا السياسة الخارجية بشكل مؤسسى ويطرح خيارات وبدائل التعامل مع هذه القضايا، كما يناقش العلاقة المصرية مع عدد من القوى الدولية مثل الولايات المتحدة الأمريكية والحاجة إلى تطوير حوار إستراتيجى يدير علاقات البلدين على أساس مؤسسى منتظم، وكذلك مع الصين والحاجة إلى تطوير علاقات التعاون الإستراتيجى معها على المستوى الثنائى والدولى.

يوليو ٢٠٠٧

د. السيد أمين شلبى